الجامعة: تكريت

الكلية: التربية للبنات

القسم: علوم القرآن والتربية الإسلامية

المادة: البلاغة القرآنية

المرحلة: الثانية

عنوان المحاضرة: تعريف البلاغة ونشأتها

اسم التدريسي: م.م خوله عزيز رشيد

الإيميل الجامعي: Khawlah.azeez٥١٩@st.tu.edu.iq

تعريف البلاغة ونشأتها

أولاً: تعريف البلاغة

البلاغة في اللغة: (الباء واللام والغين أصلٌ واحد، وهو الوصول إلى الشيء، تقول بَلَغتُ المكان، إذا وصلتَ إليه)[1]، ثمَّ إنَّه من هذا القياس أُطلِقت البلاغة على(فصيح اللسان؛ لأنَّه يبلغ بها ما يريد)[2]، وقيل: سُميَّت(البلاغةُ بلاغةً لأنَّها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيَفهمه)[3].

البلاغة في الاصطلاح: استقرَّت البلاغة عند المتأخرين على المصطلح الذي ذكره الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)، بقوله:**(وأمَّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته)**[4]، وهو التعريف الذي سار عليه كلُّ من جاء بعده.

ثانياً: نشأة البلاغة

من الضروري أن نفرق بين أمرين، نطق العرب في آثارهم الأدبية بأساليب لغتهم المختلفة من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز وقصر وفصل ووصل وطباق وتجنيس إلخ، ومعرفتهم العلمية بأوضاع هذه الأساليب ونواحيها البلاغية، فالأول كان موجودًا عند العرب قبل القرآن وفي عصر القرآن وبعده، والثاني لم يوجد إلا في القرن الثالث الهجري كما ذهب إليه أكثر الباحثين، فقواعد البلاغة قد سنها الفكر أولًا ليجري عليها الأدب بل إن طبيعة الأدب موجودة من قبل سواء بحثت أو لم تبحث، فالأدب وخواصه الأدبية موجودان من قديم وأما معرفة هذه الخصائص ودراستها وبحثها على أنها علم وأصول وقواعد فلم يوجد إلا بعد القرن الثاني الهجري، "فعلم البلاغة إسلاميٌّ لا عهد للجاهليين به".

والبلاغة باعتبارها فنًّا مدروسًا أي التحليل العلمي للأساليب البلاغية ليست من علوم العصر الجاهلي إنّما هي دراسةٌ متأخرة في نشأتها على أنّه لا شكّ كان هناك في العصر الجاهلي وصدر الإسلام بعض الخصائص والأساليب البلاغية المتعارف عليها، وهذا كله مما لا سبيل إلى الشك فيه.

أمَّا فيما يخصُّ التأليف في البلاغة فإنَّ القرن الثاني الهجري أول عصر شهد نشأة الآراء الكثيرة الأصيلة والمترجمة حول البلاغة وعناصرها، بعد فساد الملكات، وقد أخذ العلماء في بحث أصول بلاغات العرب، وفي تدوين آرائهم في معنى كلمة البلاغة والفصاحة، وأهم ما يؤثر من

---

(١) مقاييس اللغة:٣٠١/١.

(٢) المصدر نفسه:٣٠٢/١.

(٣) الصناعتين:٧، وينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه:٢٤٤/١.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة:٤١/١، وينظر: مصاعد النظر:١٤٢/١.

ذلك: وصية بشر بن المعتمر –من زعماء المعتزلة وتوفي نحو عام(٢١٠هـ) في البلاغة، وتفسير ابن المقفع للبلاغة، وتعريف العتابي لها، ووصية أبي تمام للبحتري تدخل في هذا الباب، ويقول البحتري:(خير الكلام ما قل ودل ولم يمل)، وفي البيان للجاحظ تحديد البلاغة كما يراها حكيم الهند، ويقسمها الكندي فيلسوف العرب المتوفى عام٢٦٠هـ إلى ثلاثة أنواع: فنوعٌ لا تعرفه العامة ولا تتكلم به، ونوع بالعكس ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها.

ثمّ أُلفت بعد ذلك كتب تجمع كثيراً من الآراء والدراسات الموجزة حول البلاغة وبحوثها، ومن هذه الكتب: مجاز القرآن لأبي عبيدة(٢٠٧هـ)، والفصاحة للدينوري(٢٨٠هـ)، و(صناعة الكلام) و(نظم القرآن) للجاحظ(٢٥٥هـ)، و(البلاغة وقواعد الشعر) للمبرد، وفي(الكامل) إشارات لمسائل كثيرة في البلاغة، و(إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) للواسطي المعتزلي(٣٠٦هـ)، و(نظم القرآن) لابن الأخشيد.

على أنّ أهم الكتب التي تناولت بعض مسائل البلاغة بالبحث أو التي ألفت فيها خاصة هي: كتاب(البيان والتبيين) للجاحظ، وهو أهمُّ ما أُلّف في هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثراً وشعراً، وتتعرض لتحديد البلاغة بما حولها من آراء كانت ذائعة في عصر الجاحظ، وفيه كثير من بحوث البلاغة، فهو يعرف الاستعارة ويتكلم على السجع ويشير إلى التفصيل والتقسيم والاستطراد والكناية والأمثال والاحتراس والقلب والأسلوب الحكيم، والجاحظ أول من تكلّم على المذهب الكلامي، وهو يشيد بالإيجاز، كما يدعو في البيان كثيرًا إلى ترك الوحشي والسوقي، ويحث على الإفهام والوضوح، وعلى ترك التعمق والتهذيب في صناعة الكلام، إلى غير ذلك من شتى ما دونه في البيان. ولا يضير الجاحظ أن كانت دراساته موجزة مفرقة كما يقول أبو هلال، فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة البيان، وهي التي أوحت إلى كثير أن يعدوا الجاحظ الواضع الأول لعلم البيان.

وقد بدأ التدوين في البلاغة على يد ابن المعتز(الذي ألفه كتابه القيم(البديع)، وثعلب الذي ألف كتابه(قواعد الشعر)، وبعد قليل ظهر نقد النثر كما ظهر نقد الشعر لقدامة بن جعفر المتوفى عام(٣٣٧هـ)، ثم كتاب الصناعتين لأبي هلال المتوفى عام (٣٩٥هـ)، ثم كتاب الموازنة للآمدي، والوساطة للجرجاني، وإعجاز القرآن للباقلاني، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، والعمدة لابن رشيق وهما أكثر الكتب اتصالًا بالبلاغة.

ثم جاء بعد ذلك أبو بكر عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية والمتوفى عام(٤٧١هـ)، فألف في البلاغة كتابين جليلين هما:

١– أسرار البلاغة، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع.

٢- دلائل الإعجاز، وفيه بحوث كثيرة هي أصـــول علم المعاني، كما أنّه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات أيضًا.

وبعد عصـر الجرجاني بحث الزمخشـري في تفسـيره، والرازي في كتابه (نهاية الإعجاز)، وابن الأثير صاحب (المثل السائر)، وكثير من العلماء، في البلاغة والفصاحة.

ومن أهم هؤلاء العلماء في هذا الطور أبو يعقوب الســكاكي المتوفى عام(٦٢٦هـ)، الذي ألف كتابه(المفتاح)، وجعله أقسامًا، وخصّ البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: المعاني -البيان- البديع. وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل.

والفلســفة والمنطق تغلب على الســكاكي إلى حد كبير، من حيث كان يغلب الذوق والطبع على عبد القاهر، وبذلك تنتهي مراحل التأليف والابتكار في بحوث البلاغة وتدوينها تدوينًا كاملًا.

وجاء الخطيب القزويني المتوفى عام(٧٣٩هـ) فألف في البلاغة كتابيه:(تلخيص المفتاح) و(الإيضــاح)، وقد ألف الإيضــاح ليكون كالشــرح لتلخيص المفتاح وجمع فيه كثيرًا من آراء عبد القاهر والسكاكي في شيء من التنظيم والشرح.

وعلى متن التلخيص كثرت الشــروح والحواشــي والتقارير وفي مقدمتها(الأطول) للعصــام، و(المطول) للسعد وشروح التلخيص وسواها.

يمتاز الإيضاح للخطيب القزويني بعدة ميزات ظاهرة: فهو أوفى كتاب في بحوث البلاغة، وهو أوضــح الكتب المؤلفة فيها نظامًا وأسـلوبًا، وهو كثير البحث والتعمق والاسـتنباط لأسـرار البلاغة العربية، فوق أنه كتاب تطبيقي جميل في البلاغة، وينقد القزويني فيه كثيرًا من آراء السـكاكي، وإن كان يعتمد الخطيب فيه على عبد القاهر والســكاكي كثيرًا. ومع ذلك فالخطيب يجمع في كتابه خلاصـات لبحوث علماء البلاغة في شـتى العصـور حتى عصـره، والكتاب بعد ذلك غزير المادة، كبير الفائدة في الأدب والنقد والبلاغة والبيان.

وهناك مؤلفات جديدة ظهرت في البلاغة في عصــر الحواشــي، ومن بينها عقود الجمان للسيوطي، كما ظهرت في العصر الحديث عدة مؤلفات في البلاغة فيها لون من التهذيب والتنسيق وحســن الأخذ والاختيار، وبذلك تنتهي مراحل التأليف في البلاغة منذ نشــأتها حتى الآن الخطيب وأثره في البلاغة العربية.